موقف الإسلام من اختيار حاكم غير مسلم

الانهزام العسكري أمام الأعداء له ما يبرره أحيانًا، أما الانهزام النفسي، فلا يعني سوى شيء واحد، أن وعي وذاكرة الأمة في حاجة لإنعاش، فالإسلام له موقف ثابت من هذه القضية، وهي أنه لا تجوز ولاية غير المسلم على المسلم قولاً واحدًا، لا أعرف له مخالفًا، وقد أجازها القرآن نصًا في حالة السفر، ولضرورة عدم وجود المسلم، لقوله تعالى:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ) [المائدة: ١٠٦].

أما الولاية بمعنى الحكم أو الرئاسة، فمن كان لديه نص من كتاب أو سُنَّة أو قول أحد من الفقهاء فليرشدنا إليه، هذه القضية كان يجب أن لا تثار أو يختلف عليها، لكن هناك أناسًا يعشقون البقاء في الضوء، ولو على حساب نصوص ثابتة لا مجال للتأويل فيها، هذا هو الموقف الشرعي، أما الموقف القانوني أو الوطني فهو شيء آخر، فإذا كان الدستور المصري يعاني من هزيمة نفسية،

فإن هناك دساتير أخرى غربية تنتمي لدول تعد من أكثر البلدان استنارة في العالم لا تعاني من هذه الهزائم النفسية، وإذا كنا غير قادرين على إسقاط الدستور، فإننا قادرون على إسقاط كل من يسعى إلى استفزاز الشعب ذي الأغلبية المسلمة، إن المسلمين في أيديهم أغلبية الأصوات، ويستطيعون أن يجعلوا هذه المادة كأنها لم تكن، بالتوحد حول مرشح مسلم، وسواء كانت العمائم خجلى من دينها أو خائفة على منصبها، فإن الذي أسقط الطاغية، قادر على إسقاطهم وفضحهم، لقد لفظتهم الثورة، ولفظت كل متواطئ مع الأنظمة المستبدة، ولقد أضاعوا فرصة أخيرة كان يمكن أن يثبتوا من خلالها أنهم رجال، لكهم ليسوا للرجولة أهلاً، ولا أشك في أنهم سوف يبكون مثل النساء يومًا ما، وساعتها سنقول لكل واحد من هؤلاء:

فابك مثل النساء ملكًا مضاعًا لم تحافظ عليه مثل الرجال

قد يتهمني البعض بالرجعية والتعصب، هذا ليس مهمًا لأنني أزعم أنني أنطلق من أرضية الواقع، التي تشكل أساس العمل السياسي، إن الشعب الذي يتظاهر رفضًا لمحافظ مخالف في العقيدة، كيف سيكون رد فعله إذا تعلق الأمر بالرئاسة؟ نحن هنا لا نتحدث عن فكرة رومانسية جامحة، ولكننا نتحدث عن واقع منضبط.

الضبط الانفعالي والسلوكي في المسائل الدينية

يري بعض علماء النفس أن الطريقة التي نفكر بها يمكن أن تؤثر على الطريقة التي نشعر بها..

the way we think can affect the way we feel.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفًا بكتاب الله تعالى، بصيرًا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بصيرًا باللغة الفصحى والشعر الجيد وما يحتاج إليه منهما في فهم القرآن والسنة، ويكون مع هذا مطلعًا على اختلاف علماء الأمصار، وتكون له قريحة وقادة، وإذا لم يكن هكذا، فليس له أن يفتي."

فالنص لا ينفصل عن واقعه، ولكل حادثة حديث، وينبغي أن يكون العلاج مناسبًا لنوع المرض، وإلا تضاعف المرض، وربما مات المريض.

قال أبو الطيب المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا

مضر كوضع السيف في موضع الندى

openkan.com

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح، أميره بريدة أن ينزل عدوه إذا حاصرهم على حكم الله، وقال: "فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك".

وقال بعض السلف: ليتق أحدكم أن يقول أحل الله كذا وحرم كذا، فيقول له الله كذبت، لم أحل كذا ولم أحرم كذا.

إن طريقة التفكير التي اعتدنا عليها، طريقة استقطابية، كما ذكرنا تقوم على فلسفة إما الكل أو لا شيء.

إن حل أية مشكلة، لابد أن ينشئ مشكلة أو مجموعة من المشاكل الأخرى، قد تكون ثانوية بالنسبة للمشكلة الأصلية، وقد تكون أكبر منها، فأنت إذا أردت أن تشتري سيارة لأنك لم تعد تتحمل الذهاب إلى العمل في المواصلات، فعليك أن تجهز ثمن السيارة، وعليك أن تتهيأ لدفع ثمن البنزين، كما أن عليك أن تكون مستعدًا للذهاب إلى الميكانيكي من وقت لآخر.

وقد فطن الأصوليون إلى هذه النقطة، فوضعوا قاعدة من القواعد الذهبية، وقالوا إن درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة، إن عملية التوازن بين المصالح والمفاسد إحدى الركائز التي بني عليها الفقه الإسلامي، لكن تم اغتيالها مع الصحوة الحديثة، فصرنا نقدم ما هو قديم - كما هو- في مواجهة كل ما هو جديد، مما أدى إلى حدوث شرخ بين ما هو محسوس وما هو منصوص.

إن ثقافة الاختيار بين البدائل، ليست جديدة على الفكر الإسلامي، لأنها طبيعة إنسانية قبل أن تكون فكرًا أيديولوجيًا، وهذه الثقافة تسمى في الأدبيات الإسلامية بالراجح والمرجوح، ويمكن أن يندرج في هذه الثقافة أيضًا، ما يسمى باختلاف التنوع. لكن وبشكل عام، فإن الحوادث المتجددة، لابد أن تنشئ حالة من الجدل والخلاف في البدائل المناسبة، فهناك مجموعة من النصوص المرجعية، قد تبدو متعارضة، وهي ليست كذلك، ولكن الأمر أن لكل نص ما يخصه من الواقع، وإنما يأتي الخلط من إقحام نص في واقع لا ينتمي إليه. وهناك عدة أمثلة يزخر بها تاريخنا الإسلامي.

obeikan.com